# لماذا تطغى العناصر الأجنبية على تنظيمات القاعدة؟ 1

■ حميدي العبدالله

يمكن تقسيم تاريخ ما يُعرف بـ«الظاهرة الجهادية» إلى مرحلتين، المرحلة الأولى تمتدّ منذ نشوء هذه الظاهرة وحتى تشكيل تنظيمات «القاعدة». المرحلة الثانية تبدأ منذ بدء تشكيل تنظيمات «القاعدة» وحتى الآن.

في المرحلة الأولى كان الارتباط بالاستخبارات الغربية والقتال تحت إشراف هذه الاستخبارات صريحاً وواضحاً، ففي ذلك الوقت نجحت الجهود الغربية في خلق أرضية إيديولوجية وسياسية مشتركة بين «الجهاديين» وبين الحكومات الغربية، قائمة على فكرة محاربة الشيوعية بوصفها حركة فكرية إلحادية معادية للإسلام وللغرب في آن واحد.

في هذه المرحلة لم يكن هناك من مبرّرات لا لدى «الجهاديين» ولا لدى الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة لإخفاء العلاقة القائمة بين الاستخبارات الغربية وبين «العناصر الجهادية»، طالما أنّ ثمة غطاء إيديولوجياً كثيفاً يظلل الطرفين ويغطي على العلاقة بينهما.

المرحلة الثانية، التي بدأت بعد الإعلان رسمياً عن تشكيل تنظيم «القاعدة». في هذه الحقبة سقط الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو ولم يعد هناك نظام شيوعي يمكن حشد «الجهاديين» والغرب تحت راية الاستخبارات الغربية لمحاربته، ولكن الغرب ولإحكام سيطرته على المناطق حيث منابع الطاقة أو خطوط نقلها، اخترع عدواً جديداً هو ما بات يُعرف بالإرهاب العالمي. هذا العدو هو من صنع الغرب، وتحديداً من صنع الاستخبارات الأميركية، حيث ينشط هذا الإرهاب في المناطق التي يرغب الغرب في خلق المبرّرات للدخول إليها بذريعة محاربة الإرهاب، وثمة تأريخ للعلاقة بين احتلال أفغانستان بذريعة مكافحة الإرهاب للاستيلاء على نفط بحر قزوين، وفرض الهيمنة الغربية على الدول المجاورة حيث تنتشر خطوط نقل الطاقة، وفي هذا السياق جاء كتاب «حرب الموارد» لأهم مؤرخ أميركي معاصر لحروب الولايات المتحدة، هو «مايكل كلير»، وقد جهدت الولايات المتحدة لإلصاق تهمة العلاقة بين نظام الرئيس العراقي صدام حسين والتنظيمات الإرهابية لدعم غزوها في العراق، وفي هذا السياق تأتي اعترافات جورج تينت مدير المخابرات الأميركية عند اجتياح العراق، وأيضاً كتاب «نفط ودم» لمايكل كلير.

لكن لكي يكون «الجهاديون» موجهين من قبل الاستخبارات الغربية ومنخرطين بفاعلية في تنفيذ خططها، لم يعد الحافز الموجود في أفغانستان لوجود علاقة مشتركة قائماً، ولهذا كان التوجيه الغربي لهذه الجماعات أولاً نحو الأفكار التكفيرية، وثانياً إثارة الفتنة بين الشيعة والسنة. وكي يتمّ توجيه تنظيمات «القاعدة» في الوجهة التي تخدم المصالح الغربية، لا بدّ من أن تتشكل هذه التنظيمات من جماعتين مدموجتين في إطار تنظيمي واحد، مجموعة يتمّ تحريكها انطلاقاً من الفتنة المذهبية والفقه التكفيري، وهي مؤلفة من عناصر مستعدّة للتضحية بنفسها وتنفيذ الأعمال الانتحارية، بوصفها عمليات استشهادية دفاعاً عن الإسلام الحق، وجماعة أخرى من ضباط ومنتسبي الاستخبارات الأميركية والغربية، واستخبارات دول المنطقة المتحالفة مع الغرب، أي أنّ الكوادر والقادة عموماً يجب أن يكونوا عملاء، والقاعدة يجب أن تكون غير مُدركة لحقيقة الارتباط. لكن بناء مثل هذه التنظيمات أمر صعب في وسط بيئة جماهيرية، وهو الأمر الذي استدعى، لضمان السيطرة على هذه التنظيمات، أن تتشكل من عدة دول عبر مجموعة صغيرة يسهل السيطرة عليها وربطها بالأجهزة الاستخبارية.

# ليكن الغضب ضدّ الإرهاب... ولكن ضدّ المشغل الأصلي له!

نصار إبراهيم

«هل تعلم كم دولة أفريقية لا تزال تدفع ضريبة استعمارية لفرنسا منذ استقلالها وحتى اليوم»؟

14 دولة إفريقية مجبرة من قبل فرنسا على دفع ضرائب استعمارية، كفوائد على العبودية والاستعمار...)

Resource: Mawuna Remarque – Tuesday، January) 28th، 2014 –http://www.siliconafrica.com/france–colonial–tax/)

لست غاضباً من هولاند كما لست غاضباً ممّن ذهبوا للتضامن مع هولاند... فمن الطبيعي أن يغضب هولاند وأن يحزن ويكتئب، كما من الطبيعي أن يغضب ويحزن معه حلفاؤه ومن هم في موقعه بعد أن تلقى الجميع صفعة عنيفة على وجوههم من القتلة الذين احتضنوهم وسلحوهم وموّلوهم ودعموهم سياسياً وعسكرياً وأمنياً لإسقاط الدولة الوطنية القومية السورية وغيرها من الدول العربية... فأنا لست غاضباً من هؤلاء... فليشربوا البحرا.

ما يغضبني فعلاً هو الشعب الفرنسي والنخب الفرنسية... اللذان سارا خلف هولاند المهان وغطيا على سياساته وجرائمه. ما جرى في فرنسا خلال الأيام القلية الماضية... وصل حدّ اللامعقول... بل وتجاوز ذلك إلى مستوى الإسفاف... الإسفاف السياسي، والإسفاف الأخلاقي، والثقافي والاجتماعي... إسفاف شامل يلف كلّ شيء...

إسفاف اتخذ شكل الاستهانة بالوعي العام والبديهيات... بدا ذلك واضحاً ونحن نتابع تزاحم المهانين والمستلبين وهم يشبكون أيديهم مع منظومة الإرهاب العالمي في شوارع باريس...

لماذا أقول ذلك؟ أقول هذا لأنّ ردود الفعل الاستعراضية التي نُظمت ضدّ العمل الإرهابي الذي نفذ في باريس، كانت من أبشع أنواع التزييف والتضليل والنفاق... كيف؟

لا شك في أنّ ما نُفّذ في فرنسا هو عمل إرهابي، ولا شك أيضاً بأنّ مختلف أنواع الإرهاب الفردي أو حتى إرهاب المجموعات هو خطير وسيء... وبالتالي لا يجب التقليل من شأنه ومن شأن أسبابه... ومع ذلك يجب ملاحظة أنّ هذا النوع من الإرهاب هو في كثير من الأحيان إرهاب غير واع... أو ردّ فعل يائس وبائس أو ربما مريض أو جاهل... فهو يضرب كنوع من صرخة أو احتجاج... هي صرخة دموية... لكنها صرخة لا تتجاوز هذا المستوى... لا شك في إنه يدمي ويؤلم... لكنه يبقى إرهاباً عاجزاً في بناه وصيروراته...

ولكن الأهمّ هو تجاوز هذا المستوى من النقاش وكشف جوهر ومنبع خطورة هذا النوع من الإرهاب... ذلك لأنّ خطورته لا تتمثل في قواه الذاتية أولاً، بل يكمن في القوى التي توظفه وتستخدمه، أقصد العقل المدبّر والعميق، أيّ الدول الإرهابية «المتطورة». ذلك لأنّ هذا النوع من الإرهاب في ذاته يشبه الإنسان المشوّه والمتخلف والجاهل... ولكنه يتحوّل إلى أداة قتل متحركة عندما تمسك بزمامه منظومة خفية هي التي توجهه وتديره وتسلحه وتحدّد له دوائر فعله...

لهذا أقول بأنّ أخطر أنواع الإرهاب على الإطلاق، أيّ الإرهاب الأخطر والأكثر هولاً ورعباً هو إرهاب الدولة المنظم... الذي تمارسه الدولة بصورة مباشرة ورسمية... وهنا لا أقصد أية دولة بشكل عام... بل إرهاب الدول التي تعرف نفسها كدول متطورة وحضارية، وحرة... لماذا؟

لأنّ تلك الدول تتكئ في ممارسة إرهابها المنظم على ما راكمته وبنته وأسّست له في الوعي الجمعي الداخلي والخارجي، أيّ تسويق نفسها باعتبارها دولاً ديمقراطية تحمي حقوق الإنسان وترفع راية الحرية، ولهذا فهي تصرّ دائماً على وصف نفسها بدول «العالم الحر»... وبالتالي تتصرّف وكأنها فوق النقد وفوق الحساب... ليس هذا فحسب بل وأيضاً تطرح نفسها باعتبارها تملك الحق والسلطة الأخلاقية والمعنوية والقانونية




لتعاقب غيرها انطلاقاً من معاييرها ومقاييسها هي... بينما هي في الحقيقة دول نهضت وقامت وتطورت مستندة إلى قرون من التاريخ الاستعماري العنصري المخيف، حيث أبادت ملايين البشر، واستعبدت الملايين ونهبت ثروات أمم وشعوب بكاملها...

لهذا فإنّ الإرهاب المخيف لتلك الدول يتحرك كمنظومات قهر شاملة ضدّ الشعوب والأمم الأخرى، ولكنه يتقدم تحت رايات وشعارات مشغولة جيداً وبصورة مخادعة... بل وحتى ضمن منظومات قهر مضمرة ضدّ شعوبها ذاتها... إنها تمارس الإرهاب باسم الحضارة... وباسم «مسؤولية الرجل الأبيض» أو ما يُعرف «بحِمْل» الرجل الأبيض، الذي اختارته الأقدار والسماء – يا سبحان الله– ليأخُذ بيد البشرية ويحميها من ذاتها... ولهذا فإنّ تلك الدول تمارس إرهابها وهي تستبطن هذا الدور، إنها ترتكز عليه، ومن هناك تنطلق لتمارس أعتى أنواع الإرهاب تحت راية الدفاع عن حقوق الإنسان، والحرية، والديمقراطية...

وتصبح هذه العملية المنظمة والممنهجة عميقة ومخيفة أكثر لأنها تؤسّس ثقافة جمعية تحتلّ عقل ووعي وفضاء شعوب تلك الدول... إنها تستولد العنصرية بصورة مباشرة وغير مباشرة... وهي تقوم بذلك في سياق استراتيجية متكاملة ومركبة تضمّ تحالفاً عضوياً بين امبراطوريات الإعلام... التي تمهّد لأيّ غزو أو إرهاب ضدّ الشعوب والدول الأخرى بحملات منظمة ومنسقة إعلامياً، وذلك لكي تهيّئ وتعدّ لاحتلال الوعي العام أو الرأي العام الداخلي، وبعده العالمي ليصبح ما تقوم به من إرهاب وكأنه مطلب شعبي وإنساني...

ولتحقيق هذا الهدف، فإن وظيفة المنظومة الإعلامية في تلك الدول تركز على خطورة «الدولة أو الشعب المستهدف» من خلال مخاطبة الوعي الغريزي للشعوب الغربية المأخوذة بذاتها ودورها... والمسكونة برعب الحروب... حيث يتمّ تظهير وتقديم أي تدخل أو حرب ضدّ الشعوب الأخرى وكأنه تصدّ لخطر داهم يحيق بمنجزات الدول والشعوب الغربية وقيمها... هكذا تُساق شعوب الدول «المتطورة» نحو الحروب والدمار في سياق أعتى عمليات التشويه والتزوير والكذب... وذلك بعد سرقة واحتلال وعي تلك الشعوب... ومخاطبة حساسيتها وعواطفها النبيلة في الجوهر ليجعلوا منها قوة داعمة ومؤيدة للحروب والإرهاب... هذا هو الإرهاب الأعتى والأقذر والأبشع...

هذا ما عشناه وشاهدناه وتابعناه بالتفصيل أثناء الحرب على أفغانستان، ثم العراق ثم مع بداية ما يُسمّى «الربيع العربي» في ليبيا ومن ثم سورية... لقد كانت تلك الحروب والتدخلات الكارثية تتمّ في سياق عملية شيطنة منظمة ومركزة وكثيفة للشعوب والدول المستهدفة... وفي ذات الوقت تظهير الدور الإنساني الذي تقوم به الدول الاستعمارية ضدّ الشعوب الأخرى... هنا بالضبط تختفي وتدفن الدوافع الحقيقية للحروب والغزوات الاستعمارية... حيث تختفي في ظلال هذه الحمى «الإنسانوية» المصالح الاقتصادية الاستراتيجية بما في ذلك أرباح المجمعات والشركات الصناعية العسكرية والنفطية العملاقة وغيرها... تلك الشركات المتوحشة التي تحتاج دائماً إلى لحروب لكي تمارس المزيد من النهب ولتراكم المزيد من الأرباح.

هذه المقاربة هي التي تفسر الغضب والشعور بالألم والحزن الذي اجتاحني وأنا أتابع ما جرى في فرنسا... ومن نافل القول هنا التأكيد على أنني ضدّ أيّ عمل يطال الأبرياء... حتى وإنْ اختلف الإنسان معهم... فهذا لا يبرّر أبداً المساس بالناس... بل إنّ قوة أي ثورة أو أيّ شعب يسعى إلى الحرية والاستقلال والتغيير نحو الأفضل تكمن في صلابته الأخلاقية التي يجب أن تحمي قيم وحياة وحرية وكرامة الإنسان.

ما شاهدناه في فرنسا هو عملية نفاق منسقة ومنظمة... حيث تمّ توظيف دماء ضحايا «شارلي إيبدو» لكي يصعد عليها قادة الإرهاب... ولكي يبيّضوا وجوههم... غير أنّ المشكلة هنا هي في انحياز الشارع الفرنسي بما يشبه حركة القطيع وراء من كانوا ولا يزالون السبب الرئيس في تنامي الثقافة والمجموعات الإرهابية في العالم العربي خاصة وفي أوروبا أيضاً...

وفي سياق حالة الهلع والتخدير العام تلك لم يتمكن الشعب الفرنسي وشعوب أوروبا من توجيه الغضب نحو هدفه الصحيح... أي نحو منظومات الإرهاب الأصلية... نحو المشغل، وليس حصره بالمنفذين الصغار، فهؤلاء في نهاية المطاف مجرّد وكلاء وأجراء جرى شحنهم وإطلاقهم سواء بالفكرة أو بالاحتضان تحت وهم إمكانية استعمالهم لشنّ الحروب والتدخلات وتنفيذ المهام القذرة ضدّ الأمم والشعوب الأخرى... مع إبقائهم تحت السيطرة.

في هذا السياق كيف لنا أن ننسى سورية التي تقاوم منذ أربع سنوات كلّ هذا الدمار وهذا العبث وهذا الموت والقتل والذبح وتدمير الحضارة وتمزيق المجتمع الأجمل... فقط لأنّ تلك الدول الغربية وحلفاءها من قطعان العرب وضعوا هدفهم تدمير هذه الدولة باسم «حقوق الإنسان والحرية والثورة...» فجمعوا وسلحوا ومولوا وفتحوا الحدود لكلّ إرهابي ومارق وحثالة من جميع أنحاء العالم ودفعوا بهم نحو سورية.

هل يمكن أن ننسى ذلك؟

أليست تلك الدول هي من ربّى هذا الوحش وأطلقه ضدّ شعوب العالم العربي... فلماذا يبكون؟

كيف تقبل باريس والشعب الفرنسي الذي ينتفض ضدّ الإرهاب، كما يقولون، أن يسيرا وراء نتنياهو الذي أباد هو وجيشه آلاف الفلسطينيين في غزة وغيرها... كيف يسمح الشعب الفرنسي لنتنياهو أن يأتي ليتضامن مع ذات القتلة الذين يساعدهم ويعالجهم في مشافي «إسرائيل»؟

تلك هي الجريمة الكبرى بحق الوعي والذاكرة الفرنسية... لقد كشفت جريمة فرنسا كم هو ساذج الوعي العام وكم هو ضحل عندما يسكت ويصمت على رئيس بلاده وحكومته ولا ينتبه لكلّ ما قاما به ولا يزالان من دعم وإسناد لكلّ المنظمات الإرهابية التي تستهدف الشعب السوري والجيش السوري والشعب العراقي... وكيف يتظاهرون ضدّ الإرهاب فيما تبرّر كلّ حكومات «العالم الحر» بما في ذلك فرنسا كلّ ما تقوم به «إسرائيل» من جرائم ضدّ الشعب الفلسطيني تحت الشعار المخزي «حق الدفاع عن النفس»... كيف؟

إذن لقد انحرف الوعي وانحرفت الأخلاق وتمّت السيطرة على الوعي أو جرى احتلاله من قبل ذات منظومة القتل والإرهاب الدولية... ولهذا ستدفع شعوب العالم المزيد من الدماء... ما لم تقف وتتصدّى وبحزم وعلى كل المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية لمنظومات إرهاب الدولة المنظم التي يقودها أمثال هولاند وكاميرون ونتنياهو وأوباما وأردوغان وعربان الخليج، أي جميع من مهّد وساعد وسلّح ودرّب ذات الإرهابيين الذين ضربوا في النهاية في قلب باريس وبلا رحمة، ولا زالوا يضربون وبلا رحمة في قلب سورية وفلسطين والعراق وليبيا وفي مصر... وغيرها). هل تتذكرون «بطولات» «الناتو» في ليبيا؟

# نصرالله... خريطة طريق النصر خلال عام

■ سعد الله خليل

حين يقول السيد حسن نصرالله أنّ اللعبة انتهت في سورية، والأسد باق، فهو ينطلق من حقيقة أدركها الغرب قبل الشرق، وسلّم بها العدو قبل الصديق، بأنّ معركة سورية أمّ المعارك، فمن يكسب في سورية يكسب المعركة، والخسارة في سورية تجرّ تبعاتها بدءاً من المنطقة لتتسع الدائرة شرقاً وغرباً، وبناء على تلك المعطيات خاضت القوى الإقليمية والعالمية معاركها، وبناء على تلك الحقائق جيّرت واشنطن و«إسرائيل» قواهما وأتباعهما من دول وجماعات في حربها ضدّ سورية وما تمثله من انتماء إلى محور يصل أميركا اللاتينية بروسيا مروراً بالشرق الأوسط، وهو محور عابر للقارات في فكره ومقاومته.

قوة الحملة ضدّ سورية قابلتها مواجهة قوية استدعت رباعية الفيتو المزدوج وصلابة مواقف روسية صينية إيرانية استندت، إلى صلابة الموقف السوري الذي أفرغ مضمون الحملة ونزع عن أدواتها أية إمكانية لشرعية وطنية سورية أو عربية.

لم يقل السيد نصرالله يوماً كلاماً من فراغ، ولم يقل عبر سنوات الأزمة السورية مرة أنّ الأزمة انتهت، كما قالها في حواره الأخير، وهو يدرك أنّ كلامه يستند إلى معطيات ومقوّمات عديدة أولها وقائع الميدان على الأرض والتقدم الميداني للجيش العربي السوري ورجال المقاومة والقوى الشعبية المقاتلة على الأرض وهو ما بدأ يتبلور وينمو كفصائل مقاومة شعبية لمواجهة تنظيمات «النصرة» و«داعش» يقابلها في المقلب الآخر تحلل وتآكل «الجيش الحر» على يد «داعش» و«النصرة».

ولعلّ ما حصل في ريف دمشق من انهيار خلال أقلّ من 72 ساعة لتلك القوى على يد عصابات زهران علوش يقدّم مثالاً على ماهية كيان كرتوني يُسمّى «الجيش الحر» والذي لم يعد له وجود سوى على المناطق المتاخمة للحدود مع الكيان الصهيوني، هذا الانهيار وتبعاته أنهى أيّ وجود للسعودية على الساحة السورية وباتت خارج اللعبة وانتهت أحلامها بإمكانية فرض معادلاتها على الأرض، فرضيت على مضض التسليم بالدور المصري بالحراك السياسي.

تركيا أردوغان العدالة والتنمية المترنّحة بين انهيار المشروع الإخواني وتبعات دعمها لتنظيم «داعش» وانكشاف أوراقها يوماً بعد يوم، لم يعد باستطاعتها القتال على الساحة السورية سوى بذراعها الداعشي الذي لم يعد يغري الغرب، وبات مصدر قلق حقيقي وتهديد وجودي بعد أحداث فرنسا وألمانيا وبلجيكا التي اعتقلت خلية من العائدين من سورية، كانت تخطط للهجوم على الشرطة، وبالتالي لم يعد الغرب يحتمل العبث بذراع «داعش» ولم تعد معركته محاولة امتصاص تبعات وردود الفعل، بل انتقل إلى ما يمكن استثماره في معركة الفعل بالعمل على القضاء على تلك التنظيمات، وهو ما أدركته سورية ومحورها وعملت عليه خلال السنوات الماضية وفق النفس الطويل لترك شوكة «داعش» تقوى في حلق الغرب بما يدفعه إلى التسليم بوجوب قلعها من جذورها.

أمام التسليم الغربي بعدم قدرته على ربح معركة سورية يقدم السيد نصرالله خطوات الانتقال إلى مرحلة الهجوم المعاكس، والحديث عن فتح جبهة الجولان بنموّ المقاومة الشعبية، والاستعداد لتقديم كلّ أنواع الدعم، وهو ما يدرك معناه الأميركي و«الاسرائيلي» حق الإدراك، بأنّ الاعتداءات على سورية لم تعد مسموحة وحقّ الردّ يفتح آفاق المواجهة من الردّ بالردّ أو فتح حرب بعيدة الأفق مستعدّين لها لما بعد بعد الجليل وقادرين على السير بها.

يبدو أنّ خريطة الطريق أمام كلّ المعطيات تقدّم آفاق التسويات بدءاً من حوار سياسي يطفئ فتيل حرب المواجهة الكبرى، وتقدم فيه أطراف الحرب على سورية أوراقها وتقبل بمقايضة «داعش» و«النصرة» بحقائب وزارية بعد فشل مشروعها بإسقاط الرئيس الأسد وعدم قدرتها في السير بحرب واسعة الأفق وفشل المراوحة في ضمان أمنها، وبالتالي يصبح لكلام السياسة والحوار الحدّ الفيصل، وهو ما سيشهده العام 2015 باعتراف المبعوث الأممي إلى سورية دي ميستورا... وبذلك يكون السيد نصرالله كتب خريطة طريق النصر خلال عام...

«توب نيوز»

# إذا قال السيد

ليس من باب المبالغة ولا الحبّ، ولا لأنه قائد مسيرتنا المقاومة ورئيس أركان حربنا مع الأميركي و«الإسرائيلي» والإرهاب ومن معهم في المنطقة من عرب وأتراك.

عندما يتحدث السيد نصرالله بالتقدير للموقف يعترف أعداؤه بأنّ الدقة والموضوعية عنده لا يخضعان على طريقة أوباما وشارون ونتنياهو لمعايير الحرب النفسية.

قال أوباما مراراً «إنّ الأسد أيامه معدودة»، وها هو الأسد باق وأوباما سيرحل بعد أقلّ من سنتين كما حدث مع سواه من حَمَدَيْ قطر إلى بندر وساركوزي والحبل جرار.

الأسد باق ووحده السيد قال لهم الأسد باق.

قال نتنياهو إنه سيسحق المقاومة في غزة وانهزم ولم يفلح.

قال شارون إنه سيسحق المقاومة مراراً ومثله اولمرت وفشلوا.

قال السيد سننتصر وفعَل، ولم يعدْ بمنع الإسرائيلي من التقدم في الجنوب عام 2006، وحقق فوق ما وعد وقال سنحرّر الأسرى فتَحرّروا.

الحرب النفسية عند السيد تبنى على الوقائع وليس على التهويل.

ما قاله السيد عن سلاح المقاومة وقدراتها أكده أعداؤها.

قال السيد اللعبة انتهت والنصر مع الأسد آت وقريب...

التعليق السياسي

# من يزرع الريح يحصد العاصفة فرنسا تهاجم نفسها! 2/2

في تصريحات سياسية متعدّدة بمضامين استخبارية دقيقة، مستندة إلى ترسيمات ميدانية ووقائع، أشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى أنّ هناك سبعة آلاف من أوروبا ومناطق القوقاز يقاتلون في سورية، فيما أشارت تصريحات سياسية تستند إلى معلومات استخبارية، صادرة عن كوادر في مكافحة الإرهاب الأمني في الاتحاد الأوروبي، إلى أنّ عدد الأوروبيين الذين سافروا للقتال في سورية فاق عددهم في الصومال وأفغانستان والعراق، وجلّهم من أصول قوقازية وعربية.

وما لم تكشفه تصريحات كوادر مكافحة الإرهاب في الإنتربول الدولي، هو أنّ أجهزة الاستخبارات الأوروبية هي التي سهّلت سفر هؤلاء وإدخالهم إلى سورية، وبالتالي عندما يعودون إلى بلدانهم الأوروبية الأصلية، فإنهم سيكونون بمثابة قنابل ستنفجر في وجه منظومات الأمن الأوروبية الاستخباراتية، وستكون الكلفة الأمنية والسياسية والاجتماعية والثقافية الفكرية عالية جداً، تقود في النهاية إلى زعزعة استقرار أوروبا، وبالتالي زعزعة هياكل الأمن الأوروبية المتداخلة، وهذا ما تريده أميركا.

أعتقد وأحسب وبوضوح، أنّ القارة الأوروبية وبسبب هذه السياسة الحمقاء تجاه الحدث السوري، سوف تفجّر نفسها من الداخل، وهذا من شأنه أن يحقق لواشنطن المزيد من السيطرة الشمولية على كلّ أوروبا، وخصوصاً بعد شروع العاصمة الأميركية في ترميم علاقاتها مع دول حدائقها الخلفية في أميركا اللاتينية، بدأ في كوبا وفي فنزويلا، ولكن بصورة الثورات الملونة وعبر الطبقات الاجتماعية الغنية والميسورة، بل والأرستقراطية أيضاً، لاستعادة مصالحها (الأرستقراطية الفنزويلية) المالية والاقتصادية بسبب الرعاية الاجتماعية الطويلة لنظام هوغو شافيز للطبقات الفقيرة في الداخل الفنزويلي، واستمرار هياكل النظام البوليفاري الحالي المنتخب بتلك السياسة.

وأشار المسؤول الأمني الاتحادي الأوروبي إلى أنّ هناك تعاوناً مع دول الخليج من العرب، لوقف فضائيات تروّج لبث الكراهية والفتن وأفكار «القاعدة» وأخواتها، كما تروج للإرهاب الدولي في سورية والعراق وجل المنطقة العربية.

إنّ تسخين الساحة السورية كساحة حرب، عبر دفع المزيد من المقاتلين من الدول الأوروبية، وخاصة ذوو الأصول القوقازية والعربية، وبالمقاتلين من ليبيا واليمن الآن، عبر تفعيل القوام المؤسساتي للمؤامرة المخابراتية– السياسية بأدواتها المختلفة، وخاصة العرب المرتهنين للغرب، من مثلث أطراف واشنطن، باريس، لندن، وبالتنسيق العميق مع الكيان الصهيوني والبعض العربي، من شأنه تحقيق عدّة أهداف استراتيجية هامة، أبرزها أنه

يسمح بالتخلص من آلاف العناصر الجهادية المسلّحة المتواجدة الآن في ليبيا المحتلّة من «الناتو»، والتي صارت في مرحلة اللادولة، رغم دعومات هنا وهناك لكرزاي ليبيا خليفة حفتر، وهذا يسهّل على الحلف ترتيب الأوضاع في ليبيا المحتلة ما بعد اغتيال القذافي وسقوط نسقه السياسي وتشكيل حكومة ليبية جديدة واحدة ومستقرة، وذلك لعدم وجود هذه العناصر المسلّحة الإسلامية المعيقة للترتيبات الناتويّة القادمة، ففي ليبيا برلمانين وحكومتين، كذلك توفير الفرص لحكومة الرئيس عبد ربه هادي في اليمن لتحقيق شكل ما من الاستقرار وإن كان هشّاً.

إنّ تسخين الساحة السورية كساحة حرب، وإسقاط النسق السياسي فيها، يعني إضعاف قدرات الدولة السورية، وخاصة مؤسستي الجيش والأمن السياسي، وتحويل سورية إلى دولة أكثر فشلاً من اليمن، وهذا الأمر تسعى إليه تحديداً، المخابرات الفرنسية والبريطانية والأميركية والصهيونية.

إنّ إشعال الساحة السورية حرباً وقتالاً عنيفاً، من شأنه أن يتيح إلى جانب التخلص من العناصر الجهادية الإسلامية، المسلّحة الليبية ومجموعات القاعدة في اليمن وفي معظم بلدان القارة الأوروبية بعد أن تمّ شحنهم إلى سورية، يقود إلى التخلص أيضاً، من العناصر الجهادية الإسلامية المسلّحة الموجودة في أوروبا، كخلايا نائمة، بحيث تقوم أجهزة المخابرات الأوروبية بدفع وتسهيل مسألة هجرة هذه العناصر الإسلامية المسلّحة ذات الأصول القوقازية والمتواجدة على الساحات الأوروبية، للذهاب إلى سورية للقتال والمساهمة في إسقاط النسق السياسي السوري.

إنّ إشعالاً متزايداً للمسرح السياسي السوري، سيأخذ طابع العنف السياسي الديني المرتفع الشدّة، والطابع العسكري الدموي، وهذا يعني ببساطة حرباً أهلية إسلامية إثنيه مذهبية عميقة، خاصة مع محاولات شيطنة حزب الله اللبناني عبر وسائل الميديا العربية والعالمية.

بسبب سياسة أميركا وتخبطاتها ومتاهاتها واضطراباتها، مدعومة من حلفائها الغرب وبعض العرب ومن حكومة حزب التنمية والعدالة في تركيا، صارت منطقة الشرق الأوسط مغناطيساً جاذباً لمجاميع الإرهابيين ذوي الخبرات القتالية العالمية من أرجاء الأرض الأربع.

إنّ منطقة الشرق الأوسط ساخنة للغاية والجزء العربي منها تحديداً، والأخير مليء ببؤر النزاعات والصراعات المختلفة، وخاصة بعد حراكات الشارع العربي، إن لجهة التحريك عبر الطرف الخارجي، أو لجهة الحركة العفوية واستثمارها من الطرف الثالث، وفي ساحاتها السياسية الضعيفة والقويّة على حدّ سواء، وذات التداعيات الأفقية والعامودية، على مجمل السياق الأمني– الجمعي للمنطقة، مع وجود روابط مفعّلة وأياد خفية، تكمّل وتغذي بعضها البعض، بين متغير بؤر هذه النزاعات والصراعات في الساحات السياسية الآنف ذكرها، ومتغير السياق الأمني – الجمعي للشرق الأوسط ككل، عبر دور العامل الكوني الأميركي الأوروبي والبعض العربي المتداخل التابع المتقاطع في مصالحه، مع دور «إسرائيلي» لا يمكن أن نعتبره إقليمياً لسبب بسيط، وهو أنّ إسرائيل ليست دولة إقليمية ولن تكون كذلك لاحقاً، هكذا تشي المؤشرات السياسية والأمنية والعسكرية وفوق ذلك جغرافية المناخ المحيط بها، علم الرياضيات السياسية يشرح ذلك.

فالسياسة معادلات حسابية، فإن كانت المعادلة الرياضية التالية: $1 + 1 = 2$، فإنها في كثير من الظروف = 35 أو 51 ... إلخ، وعندما يراد لها أن تساوي كذلك يكون، كما هو الحال الآن في سورية وسيكون عليه في إيران أو أي دولة في العالم.

العامل الأميركي ومعه «الإسرائيلي» وبعض الأوروبيين والعرب، وخاصة من الطبقات الحاكمة العربية المؤثرة بالمال فقط، وعبر حلقات ودوائر أمنية سياسية استخباراتية، يفضي كلّ واحد منها إلى الآخر بآليات تنفيذ، يلعب دوراً نوعيّاً وكميّاً في تأجيج وتوجيه الصراع بمجمله في الشرق الأوسط، وهذا من شأنه أن يقود إلى تغذية بؤر الصراعات الجزئية في الساحات السياسية المختلفة.

وفي السياق والمسار ذاته، يقوم هذا العامل الأمني بتصعيد توترات هذه البؤر الصراعية الجزئية وحراكات شارعها الشعبوي ودفعها بمفاعيلها باتجاه التصعيد وتوتير الوضع الكلي للشرق الأوسط، عبر علاقة هندسية تبادلية في النتائج والأهداف بين المتغيرين السابقين.

العاملان الكونيان الأميركي و«الإسرائيلي» ومعهما جزء من الأوروبي وبعض العرب الذي يتاجر في سوق النخاسة، يسعى إلى استخدام وتوظيف ملفات بؤر الصراع الجزئي في الساحات السياسية والثورات وحالات الحراك الشعبي في بعض الساحات الأخرى، لجهة إدارة دواليب مفاعيل الأزمة في الشرق الأوسط، ويستخدم الأزمات كأسلوب إدارة للصراع فيه وعليه، ويدفع باتجاه التصعيد والتوتر عندما تقتضي المصالح ذلك، وإرسال الرسائل في كافة الاتجاهات، وفي نفس الوقت يسعى العامل السابق نفسه إلى التنفيس والتهدئة، عندما يكون التصعيد والتوتر في غير مصالحه التكتيكية والاستراتيجية.

إنّ مفاعيل التعبئة الأميركية —«الإسرائيلية»— الأوروبية— التركية والبعض عربية الآنية الممنهجة الفاعلة ضدّ سورية ولبنان وضدّ الفلسطينيين والأردن (عبر ممارسة شتى الضغوط على الدولة والملك، لتنفيذ ما يروق ويحلو للبعض)، والمدعومة من أجنحة يمينية متطرفة في الإدارة الأميركية بتوجيه من «الأيباك»، تهدف إلى سلّة من الأهداف لا تخفى على السذّج من العوام، فكيف بمن تدعي أنّهم من النخب في مجتمعاتها.

إنّ توسيع نطاق بناء وحجم المستوطنات «الإسرائيلية»، وتهويد جلّ المكونات الإسلامية العربية الرئيسية في الأراضي المحتلة لعام 1967، وخصوصاً في القدس «حشاشة» قلوبنا نحن لا قلوبهم، يهدف إلى تحويل جهود واهتمامات الفلسطينيين والعرب، من التركيز على مشكلة الترحيل والطرد من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وإحلال وإسكان المستوطنين مكانهم ومحلّهم، ما يجعل عمليات تهويد القدس والمقدسات الإسلامية العربية الفلسطينية أمراً واقعاً على الأرض، ليصعب التفاوض حوله مستقبلاً وعبر أي طريقة من طرق التفاوض، التي عرفتها البشرية إلى الآن، إلى التركيز على ما يجري في شوارع أقطار الأمة، مع اعترافنا بحقوق شعوبنا المنهوبة من قبل الطبقات الحاكمة، والتي غدت أنظمة شمولية استبدادية. فمن حق القوى الشعبوية أن تنهض من سباتها العميق الذي بدأ كنوم أهل الكهف ما بعد بعد نهايات الحرب الكونية الثانية.

كما يهدف أيضاً إلى فرض عملية شدّ الأطراف الأخرى في الساحات السياسية المتقابلة، بحيث يتم إشغال السوريين واللبنانيين والأردنيين العرب المعنيين جميعهم، بمجريات الصراع العربي – «الإسرائيلي» بكيفية مواجهة حراكات الشارع الشعبية والمطالبة بحرياتها وببعض حقوقها من دون الانتباه إلى كيفية مواجهة الخطر العسكري «الإسرائيلي» المحتمل، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى عملية ممنهجة، لصرف أنظار الرأي العام العربي والإسلامي عمّا يحدث داخل فلسطين المحتلة لعام 1967 من عمليات تهويد تجري على قدم وساق في كل شيء.

ومن الممكن أن يؤدي كلّ ما تمّ ذكره، إلى إشعال دراماتيكي للحرب، لاستعادة قوّة الردع «الإسرائيلية» وإضعاف حركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية، ويبقى ذلك مجرد احتمال والاحتمال في السياسة ليس يقيناً.

الدولة العبرية، تستخدم تحقيق الأهداف التكتيكية، لصياغة وإنتاج الاستراتيجي منها بإتقان، حيث أنّ الأمر الاستراتيجي المفروغ منه، يتمثل في السيطرة على الأراضي وإكمال عمليات تهويدها والقضاء على أي احتمالات لنشوء المقاومة الوطنية، مع سعي حثيث لها إلى مزيد من توريط واشنطن في أزمات الشرق الأوسط المختلفة كي يقود ويؤدي ذلك إلى تسهيل مهمات الجناح اليميني المتطرف المتمثل بالمحافظين الجدد، بنسخهم المستحدثة في إدارة الرئيس باراك أوباما، وينجح في إعادة القوّات الأميركية الاحتلالية إلى العراق عبر الأحداث في الأنبار بصور مختلفة. كما قد يقود إلى التأجيل أو التباطؤ في الانسحاب الأميركي من أفغانستان واتخاذ الأزمة الأوكرانية ذريعة أخرى، والترويج الأميركي لعدم التعاون الروسي مع واشنطن في الانسحابات الموهومة من أفغانستان، وكل العالم شهد كيف جاء توقيت اغتيال أسامة بن لادن لتأجيل الخروج الأميركي من كابول، ثم أنتج لنا الأميركيون أبو بكر البغدادي (بعد تصفية بن لادن) من بوكا1، والآن يعملون على إنتاج أبو الحسين الإيراني عبر نموذج بوكا2.

كما تسعى واشنطن إلى خلق مصادر تهديد وخطر محقق، ظاهرها حقيقي وباطنها وهمي مفترض، كي تستطيع «إسرائيل» الحصول على المزيد من القدرات والمقدّرات المختلفة من أميركا، وخلق مبررات ابتزاز مقنعة للإدارة الأميركية وحلفائها من الدول الغربية، مع دفع دول خليجية عربية معروفة إلى مزيد من الحلقات التطبيعية مع تل أبيب والارتماء في أحضانها.

وتفيد المعلومات بأنّ هناك مشروعاً إسرائيلياً – أميركياً لنشر وبناء قدرات نووية، لموازنة القدرات النووية الإيرانية، سيتم بناء بعضها ونشر الآخر في دول خليجية، رغم اتفاقات وتفاهمات المجموعة السداسية الدولية مع ايران، وذلك بموجب اتفاقيات أمنية خاصة تمّ توقيعها سرّاً وقبل أكثر من عام، وقد تكون اجتماعات باراك أوباما والمكارثيون الجدد في واشنطن، وفي قصر روضة خريم الملكي في مملكة القلق، قد أعطت إشارة لبدء نشر تلك القدرات النووية، فماذا يعني ذلك!

أعتقد وأحسب أنّه يتموضع ويتبلور، متمحوراً بالمعنى الاستراتيجي التالي: فكرة التعايش مع إيران النووية، صارت مقبولة لدى «الإسرائيليين»، وصار العقل الإستراتيجي الأمني «الإسرائيلي» أكثر اهتماماً وتوظيفاً وتوليفاً لفكرة مفهوم إيران النووية، ليحقق مزيداً من المكاسب المختلفة، ويفتح مزيداً من نوافذ الفرص المهدورة في السابق من الزاوية «الإسرائيلية» وفي مقدمتها تعظيم المنافع لجهة التقدم في مشروع التطبيع «الإسرائيلي» مع دول الخليج المختلفة.

ومع تقليل المخاطر المختلفة على «إسرائيل» نفسها، وذلك عبر الضغط من أجل إعادة تنميط العلاقات والروابط، من أجل فصمها أو التقليل من حرارتها بين أطراف مربع (سورية، حزب الله، المقاومة الفلسطينية، وإيران) من منظور العامل الأميركي «الإسرائيلي» وبعض من الدول الأوروبية، في متغير مجريات السياق الأمني الجمعي في الشرق الأوسط، والذي يعمل على إضعاف الحلقة الإيرانية، خاصرة الفدرالية الروسية الضعيفة، عبر محاولات إضعاف سورية، وللسنة الرابعة، على التوالي وإخراجها من محور الممانعة.

وتفيد المعلومات، بعدم حدوث مواجهات عسكرية على المدى القصير في المنطقة، بالرغم من وجود طائرات «إسرائيلية» مقاتلة ومتطورة، في بعض القواعد الأميركية في المنطقة ودول الجوار السوري والعراق تحديداً، مع اندلاع مواجهات ديبلوماسية قويّة حول المنطقة وفيها، بدأت بحملة بناء الذرائع الجديدة، حول موضوع صواريخ سكود وغيرها، العاملة بالوقود السائل، والتي تحتاج إلى أكثر من ثلاثة أرباع الساعة لإطلاقها.

وفي ظني وتقديري، أنّ استخدام الأزمات كأسلوب إدارة، في تفعيل أزمة حملة بناء الذرائع الجديدة، سوف يؤدي إلى تفعيل أزمة داخلية لبنانية حول سلاح حزب الله اللبناني والمقاومة، وهذا من شأنه أن يقود إلى إعادة إشعال الساحة السياسية اللبنانية، والساحات السياسية الضعيفة الأخرى، ومن الممكن أن يؤدي كلّ ذلك إلى قرارات دولية جديدة تستهدف قوى محور الممانعة في المنطقة، وخصوصاً سورية ولبنان وإيران وحماس وحزب الله والمقاومات الأخرى، والتي من الممكن أن تنشأ لاحقاً في المنطقة بعد إطلاق استراتيجية المقاومة من سورية لاستعادة الجولان السوري المحتل، بعد رغبة «الإسرائيلي» في تغيير قواعد فك الاشتباك السابقة، فتمت إزالة الألغام من جانب دولة العدو باتجاه القنيطرة، قابله إزالة الألغام من الجانب السوري باتجاه فلسطين المحتلة، كلّ ذلك ممكن الحدوث والتفاعل تبعاً لمجريات متغير العامل الدولي ومتغير بؤر الصراعات الجزئية في الساحات السياسية الضعيفة والقوية في المنطقة.

من هذا المنطلق، وعبر هذه السياقات الآنفة، يمكن فهم ما يجري على الحدود السورية— التركية، وخصوصاً على معبر كسب، وحيث الأخير هو قرم سورية، هناك محاولات تركية لإعادة إنتاج معركة كسب السابقة، كذلك ما يجري وما قد يعدّ له في الجنوب السوري الساخن، وخصوصاً بعد وصف مصدر عسكري أردني بوضوح أنّ الحدود الأردنية السورية فسيفسائية بامتياز!

* محام، عضو المكتب السياسي للحركة الشعبية الأردنية
www.roussanlegal.0pi.com
mohd—ahamd2003@yahoo.com